

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى

المهندس
عبد
الرفاعي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى

.. دلالات كتاب الله تعالى ، لا يدخل إلى أعماقها إلا المطهرون : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا

الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة : 79] .. فأى تلوثٍ فكريٍّ يُسقط هوى التصورات المتناقضة

لعالمنا المخلوق ، على دلالات كتاب الله تعالى ، وأيُّ جهلٍ بماهية صياغة نصوصه ،
ودلالات كلماته ، يُبعد الإنسان عن رؤية الحقِّ ، ويجعله غارقاً في دياجير ظلمات التيه ..

.. هذا الجهل بماهية صياغة نصوص كتاب الله تعالى ، وهذا التلوث الفكري الذي
يسجن فيه الكثيرون تصوراتهم ، ويسقطونها على دلالات كتاب الله تعالى ، يتجلى في

تناول الكثيرين لتفسير الآية الكريمة : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : 5] ،

والآيات الأخرى المشابهة لها في حمل هذه المسألة .. سواء في التفاسير الموروثة ، أم
المعاصرة ..

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ المهندس عدنان الرفاعي 2

.. لقد تاه الكثيرون في هذا الأمر ، وجوهر تيههم أنهم تخيلوا العرش - هنا - بناءً مادياً ، مُتخيلين الذات الإلهية لله تعالى كذوات المخلوقات ، مُعيدين الفاعل المستتر في كلمة : ﴿اسْتَوَى﴾ : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ إلى الذات الإلهية .. بالنتيجة .. كانت لوحة تصوراتهم النائية - التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان - مُشابهة تماماً لاستواء أي حاكمٍ من البشر على مقعده المادّي في البناء المادّي الذي منه يحكم البلاد .. وهذا تجسيدٌ للذات الإلهية ، يلفظه كتابُ الله تعالى جملةً وتفصيلاً ..

.. والمقولة المشهورة للإمام مالك عندما سُئل عن هذه الآية الكريمة : ((الاستواء

غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة)) ، لا تحلُّ مشكلة هذا التيه ، وهي تبريرٌ للهروب من استحقاق تدبّر حقيقة صياغة النصوص القرآنية الحاملة لهذه المسألة ..

.. ما نراه في الآية الكريمة : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : 5] ، أن الكلمة الأولى فيها هي : ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ، وهي اسم صفة لله تعالى ، وهذا الاسم هو أقرب الصفات لفظ الجلالة : ﴿اللَّهُ﴾ تعالى ، كونه صفةً للصلة والروابط التي تتصل بها المخلوقات كافة بالله تعالى خالقها ..

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء : 110]

.. فما بين عطاء الإلهية : ﴿اللَّهُ﴾ ، الذي يتعلّق به المؤمنون حصراً ، وبين عطاء الصلة المستمرة ، التي تتعلّق بآثارها المخلوقات كافة ، تفاعلاً مستمراً بعطاء خالقها جلّ وعلا : ﴿الرَّحْمَنُ﴾ .. بين هذين العطاءين .. تتعلّق المخلوقات - جميعها - بآثار باقي صفات الله تعالى : ﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ..

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ المهندس عدنان الرفاعي 3

.. وكلمة ﴿الْعَرْشِ﴾ ، من مشتقات الجر (ع ، ر ، ش) ، وتعني : الحامل ..

فعرش الشيء هو حامله ..

﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [الكهف: 42]

﴿ فَكَايَنَ مِنَ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [الحج: 45]

.. نرى أن كلمة ﴿عُرُوشِهَا﴾ - هنا - تعني الحامل لها الذي يرفعها .. وهذا ما

يتضح معنا بورود كلمة : ﴿عَلَى﴾ في العبارة : ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ .. بمعنى : فهي

خاوية فوق ﴿عَلَى﴾ حواملها التي ترفعها ... وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى :

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [البقرة : 259]

﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [الكهف: 42]

.. وبالتالي فالمعروش ، هو المحمول عالياً .. وغير المعروش ، هو غير المحمول عالياً ..

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ [الأنعام : 141]

.. والفعل يعرش بمعنى يرفع عالياً ..

﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف

: 137]

.. والنحل .. يتخذ بغريزته الفطرية - وليس بما يصنعه الناس له - بيوتاً مما يُرْفَعُ عالياً

.. إضافة لآتخاذه بيوتاً من الجبال ، ومن الشجر ..

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾

[النحل : 68]

.. وعرش الملك هو البناء المميّز ، كمكان مقامه عال ، حيث يُصدر الملك أوامره ..

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ المهندس عدنان الرفاعي 4

﴿وَرَفَعَ أَبْوَابَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ...﴾ [يوسف : 100]

﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمَلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهَذَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾

وَجَدْتُهَا قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ

﴿.....﴾ قَالَ نَكُرُّهَا هَذَا عَرْشُهَا نَنْظُرُ أَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿١١﴾

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل : 23 - 42]

.. هذا هو إطار المعنى للعرش حينما يتعلّق بالمخلوقات ، كونها محكومة لقوانين المادة
والمكان والزمان .. فعرش الشيء هو حامله ، ورافعه ... لكن ... ما هي دلالات العرش
حينما يتعلّق بالله تعالى الذي : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى : 11] ؟ ..

.. سنقف عند جميع النصوص القرآنيّة الحاملة للعرش المتعلّق بالله تعالى ..

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بَأْمَرِهِ

أَلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف : 54]

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ

تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة : 128 - 129]

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس : 3]

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [هود : 7]

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۗ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ۗ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۗ يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد : 2]

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءِاهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَتَعَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : 42]

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾ [طه : 5 - 6]

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِاهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۗ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء : 22 - 23]

﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۗ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۗ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَاوِزُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۗ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون : 84 - 89]

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ المهندس عدنان الرفاعي 6

﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١٧﴾﴾

[المؤمنون : 116 - 117]

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [الفرقان : 59]

﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خُورِجُ الْحَبَّةِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل : 25 - 26]

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿١٠١﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[السجدة : 4 - 5]

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر : 75]

﴿الَّذِينَ سَخِمُونَ الْعَرْشِ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧٠﴾﴾ [غافر : 7]

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾ [غافر : 15]

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ مَخَضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الرعرع : 81 - 83]

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ۗ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۗ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الحديد : 4 - 5]

﴿وَأَنشَأَتِ السَّمَاءَ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا ۗ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّنْذِبٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة : 16 - 18]

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير : 19 - 20]

﴿وَهُوَ الْعَفْوَورُ الْوَدُودُ ﴿٢٠﴾ ذُو الْعَرْشِ الْحَمِيدُ ﴿٢١﴾ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج : 14 - 16]

.. ما نراه في هذه النصوص الكريمة ، هو التالي :

1 - كلمة عرش أُضيفت إلى الله تعالى : ﴿عَرْشُهُ﴾ .. وسنرى بإذن الله تعالى أن تعريف الإضافة هذا إنما يصف العرش قبل خلق السماوات والأرض ..

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ﴾ [هود : 7]

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ المهندس عدنان الرفاعي 8

وما نراه أن الله تعالى يقول: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ ، ولم يقل: (وكان عرشه الماء) ، فالعرش ليس المتعلق المادّي ﴿الْمَاءِ﴾ ، إنّما هو عليه ﴿عَلَى الْمَاءِ﴾ ..
.. وأضيفت كلمة: ﴿عَرْشٍ﴾ أيضاً إلى ربّ المخاطب بالنصّ القرآني: ﴿عَرْشِ رَبِّكَ﴾ .. وسنرى بإذن الله تعالى ، أن تعريف الإضافة هذا إنّما يصف العرش عند نهاية الهيئة الحاليّة لعالم الخلق ..

﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مَّحْنِيَةً﴾ [الحاقة : 17]
.. وهنا أيضاً لا يمكن للكلمة: ﴿عَرْشٍ﴾ أن تعني المتعلق المادّي للكون (السماوات والأرض) .. فالله تعالى لم يقل: (ويحملها) إنّما يقول: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ﴾ ..
﴿وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٧﴾ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٨﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مَّحْنِيَةً﴾ [الحاقة : 14 - 17]
.. فما نراه أن [[﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ ، ، ﴿السَّمَاءُ﴾]] وهي المتعلق المادّي للكون ، تختلف عن ﴿عَرْشِ رَبِّكَ﴾ ..

2 - يُوصف العرش في كتاب الله تعالى بالصفتين: ﴿الْعَظِيمِ﴾ ، ، ﴿الْكَرِيمِ﴾ ..
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النوبة : 129]
﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون : 86]
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون : 116]
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل : 26]

3 - الله تعالى .. ربُّ العرش ، وذو العرش ..

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النوبة : 129]

﴿.....إِذَا لَابَتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء : 42]

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء : 22]

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون : 86]

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون : 116]

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل : 26]

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى.....﴾ [غافر : 15]

﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف : 82]

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكويد : 20]

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج : 14 - 15]

.. وهذه الجملة : [﴿ذِي الْعَرْشِ﴾ ، ، ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾] ، تحمل لنا بياناً ، بأنَّ

﴿الْعَرْشِ﴾ ، ككلمة معرفة بأل التعريف ، يتعلَّق بصفات الله تعالى ، ولا يمكن أن

ينتمي لعالم الخلق المتعلِّق بأفعال هي آثار لصفات الله تعالى فكما أنَّ الكلمات :

[﴿الْغَفُورُ﴾ ، ، ﴿الْوَدُودُ﴾ ، ، ﴿الْمَجِيدُ﴾] ، هي صفات للذات الإلهية ، فإنَّ :

﴿الْعَرْشِ﴾ في العبارة : ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ ، يتعلَّق بالصفات الإلهية ..

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج : 14 - 15]

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ المهندس عدنان الرفاعي 10

.. وهذا ما يتأكد معنا بشكل جليّ في العديد من نصوص كتاب الله تعالى ، حيث كلمة : [[﴿ذِي﴾ ،، ﴿ذُو﴾]] تُعلّق ما يضاف إليها ((من الكلمات المعرّفة بأل التعريف)) بصفات الله تعالى ..

﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة : 105]
 ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ﴾ [الأنعام : 133]
 ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر : 3]
 ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات : 58]
 ﴿تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : 78]
 ﴿مَنْ لِّلَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [المعارج : 3]

.. فهل من الممكن لعافل ، فيه روح ، أن يتخيّل - مجرد تخيّل - بأنّ الكلمات :

[[﴿الْفَضْلُ الْعَظِيمُ﴾ ،، ﴿الرَّحْمَةُ﴾ ،، ﴿الطَّوْلُ﴾ ،، ﴿الْقُوَّةُ﴾ ،، ﴿الْجَلَلُ

وَالْإِكْرَامُ﴾ ،، ﴿الْمَعَارِجُ﴾]] ، ككلمات معرّفة بأل التعريف ، ومُضافة لكلمة :

[[﴿ذِي﴾ ،، ﴿ذُو﴾]] تعلقاً بالله تعالى ، من الممكن أن تنتمي - هي وليس

متعلقاتها من المخلوقات - لعالم الخلق المحكوم لقانون الزمان والمكان ؟ ..

.. وكون كلمة [[﴿ذِي﴾ ،، ﴿ذُو﴾]] تعني - بالنسبة للمخلوقات - صاحب

المضاف إليه الوارد بعدها (فذو الشيء - من المخلوقات - تعني صاحبه) ، فإنّ هذا لا

يمكن إسقاطه على الذات الإلهية ، مع اعتبار العرش شيئاً مادياً .. أبداً .. فالصحبة مع

الشيء ، تعني اشتراكاً معه في جانبٍ ما .. والذات الإلهية متّزّهة عن الاشتراك مع

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ المهندس عدنان الرفاعي 11

المخلوقات في أيِّ جانب ، كون الذات الإلهية منزّهةً عن الحدوث .. من هنا .. نرى أنّ الله تعالى نفى عنه اتّخاذ صحبة المخلوقات ..

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وُلْدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَحِيبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام : 101]

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء : 43]

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَحِيبَةً وَلَا وُلْدًا﴾ [الجن : 3]

.. فتتزيه الله تعالى : ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ يقتضي عدم تعلّقه بالصحبة : ﴿مَا اتَّخَذَ صَحِيبَةً﴾ ... وكيف لكلمة : [[﴿ذِي﴾ ، ، ﴿ذُو﴾] المتعلّقة بالله تعالى ، حيث يُضاف إليها : ﴿الْعَرْشِ﴾ ، أن تعني صحبةً لشيءٍ مادّيٍّ مخلوقٍ محكومٍ لقوانين الزمان والمكان ((حسب التخيلات السفيهة)) ، ونحن نراها ترد وسط صفات الله تعالى !!!؟ ..

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [الروح : 14 - 15]

.. من هنا نرى أنّ : ﴿الْعَرْشِ﴾ لا ينتمي إلى عالم الخلق ((كفعلٍ من آثار صفات الله تعالى)) المحكوم لقوانين المكان والزمان ، إنّما يتعلّق بصفات الله تعالى ... فالجملة : [[﴿ذِي الْعَرْشِ﴾ ، ، ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾] ، تُعلّق العرش بصفات الله تعالى .. وهذا يتأكّد معنا بعطف ربويّة ﴿الْعَرْشِ﴾ ، على ربويّة السماوات السبع ، التي هي (مع الأرض) جسد عالم الخلق ..

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون : 86]

.. فما يعنيه حرف العطف ﴿وَ﴾ من دلالة ، حيث يعطف العبارة : ﴿رَبِّ الْأَرْضِ

الْعَظِيمِ﴾ على العبارة : ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ﴾ ، واضح وجلي لمن عنده حدُّ أدنى

من إدراك قواعد اللغة ..

وهذا يتأكد معنا بتكرار تزييه ربَّ العرش ، كبديل لتزييه ربَّ السماوات والأرض ..

﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف : 82]

.. فالبديل هو في الربوبية (كون الربَّ سبحانه وتعالى واحداً) .. بينما العرش يختلف

عن السماوات والأرض .. فعندما نقول : جاء معلّم أحمد ومحمود معلّم فاطمة ، صحيح

أنَّ معلّم فاطمة هو بدل من معلّم أحمد ومحمود ، كون البديل هو للمعلم ، والمعلّم هو ذاته

.. لكن .. فاطمة غير أحمد ومحمود .. ولا يمكن لعاقل يُدرك الحدَّ الأدنى من قواعد اللغة

العربية ، وعنده ذرّة من روح ، أن يقول : إنّ فاطمة هي ذاتها أحمد ومحمود ، وأن

يستشهد بهذه الآية الكريمة على أنّ العرش هو ذاته السماوات والأرض ..

.. إذا .. لا شك - أبداً - أنّ ﴿الْعَرْشِ﴾ أمرٌ مختلفٌ تماماً - كعالم ينتمي إليه -

عن عالم الخلق : ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .. وهذا يُدركه كلُّ من عنده ذرّة من العلم

في تدبّر آيات كتاب الله تعالى ..

.. ومن المستحيل أن يكون العرش صفةً للسماوات والأرض ، فالنصُّ - كما نرى -

يحمل تزييه إلهياً للذات الإلهية ، من منظار علم الله تعالى .. ومن هذا المنظار ، فإنَّ

السماوات والأرض مسألة أخرى غير مسألة العرش .. فالعطف هنا ، هو عطف تزييه لله

سبحانه وتعالى في أمرين مختلفين .. الأمر الأوّل هو : ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، حيث

ربّهما الله تعالى ، والأمر الثاني هو : ﴿الْعَرْشِ﴾ ، حيث ربّه الله تعالى : ﴿سُبْحَانَ رَبِّ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ .. بمعنى : تعالى الله وتسامى ربّ

السموات والأرض ، تعالى الله وتسامى ربّ العرش ، عمّا يصفه البشر ، في هذين الأمرين .. فلو كانت السموات والأرض هي ذاتها العرش ، فإنّ ما يفترية البشر على الله تعالى في مسألة : ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، هو ذاته ما يفترية البشر على الله تعالى في مسألة : ﴿الْعَرْشِ﴾ .. وبالتالي ((بناء على الوهم القائل بكون العرش صفةً للسموات والأرض)) فإنّ تزيه الله تعالى ، المحمول بقوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، يكون هو ذاته تزيه الله تعالى المحمول بالعبرة التالية مباشرة : ﴿رَبِّ الْعَرْشِ﴾ ، وبالتالي يكون النصّ قد عطف الأمر على ذاته .. وهذا مُحال ..

.. البحث السليم في كتاب الله تعالى ، لا يكون بفرض التصورات التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، كمقدمات تُفرض على النصّ ، للوصول إلى نتائج لا يحملها النصّ لا من قريب ولا من بعيد ..

4 - لا تُوجد في كتاب الله تعالى ولو إشارة تربط - كاتتماء - ما بين العرش وعالم الخلق .. إطلاقاً .. وتُوجد دلائل على أنّ العرش حاملٌ لعالم الأمر ... ففي قوله تعالى ..

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْ يَهْوَىٰ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس : 3]

.. نرى أنّ جملة : ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ ، حالية ، تحمل دلالة تدبير الله تعالى للأمر ، من خلال الاستواء على العرش .. وحتى لو كانت خبراً ثانياً ل ﴿إِنَّ﴾ فإنّ تدبير الأمر هو بعد الاستواء على العرش ، وأيضاً حتّى لو فرضنا أنّها استئنافية ..

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ المهندس عدنان الرفاعي 14

ما أودُّ قوله أن الاستواء على العرش الذي تمَّ بعد خلق السماوات والأرض ﴿ثُمَّ﴾ :

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ، حال فعله ، هو التدبير الإلهي للأمر ، في تسيير شؤون

عالم الخلق .. وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى :

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنْ

السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿

[السجدة : 4 - 5] .. حيث الجملة ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ حالية ..

.. وأيضاً في قوله تعالى :

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ

الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٢﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ

رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿ [الرعد : 2]

.. نرى أن الجملة ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ سواء كانت خبراً للفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ تعالى ، أم

استئنافاً ، فإنها بعد الجملة ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ، وقبل الجملة ﴿يُفَصِّلُ

الآيَاتِ﴾ مباشرة ..

.. وأيضاً في قوله تعالى :

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ

مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ

مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٥٤﴾ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ
الْأُمُورُ ﴿ [الحديد : 4 - 5]

.. نرى أن الجملة : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ تتبعها جملة حالية هي : ﴿ يَعْلَمُ
مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ .. وحتى لو
فرضنا أنها مستأنفة ، فإن ورودها خلف الجملة : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ مباشرة
يشير إلى العلاقة بين علم الله تعالى ﴿ يَعْلَمُ ﴾ ((علم مشاهدة مكانية زمانية)) والاستواء
على العرش ..

.. والآية الكريمة التالية يظهر فيها تعلق عالم الأمر بالعرش بشكلٍ حليّ :

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ
إِنَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : 54]

.. نرى أن جملة : ﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ﴾ حالية ، وأيضاً الجملة : ﴿ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴾
.. بمعنى : طالباً له ، و ﴿ حَثِيثًا ﴾ حال من فاعل يطلبه (حاثاً) ، أو من مفعوله
(محثوثاً) ، و ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ ﴾ منصوبة عطفاً على ﴿ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ﴾ .. و ﴿ مُسَخَّرَاتٍ ﴾ حال منها .. و ﴿ بِأَمْرِهِ ﴾ جار ومجرور متعلقان
بكلمة ﴿ مُسَخَّرَاتٍ ﴾ ..

.. إذا .. كل ما يحدث في عالم الخلق : ﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ ﴾ كحال للاستواء على العرش : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾

.. كل ذلك .. حال فعله هو تسخيرٌ بأمر الله تعالى .. وتأتي العبارة الأخيرة في هذه الآية الكريمة كتيبانٍ لكون هذين العالمين المتمايزين (عالم الخلق ، وعالم الأمر) يعودان إلى الله تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ..

.. ﴿ أَلَا ﴾ أداة استفتاح وتنبية .. ﴿ لَهُ ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم .. ﴿ الْخَلْقُ ﴾ مبتدأ مؤخر .. ﴿ وَالْأَمْرُ ﴾ عطف على ﴿ الْخَلْقِ ﴾ .. ﴿ تَبَارَكَ ﴾ فعل ماضٍ جامد بمعنى تقدّس وتزّه .. ﴿ اللَّهُ ﴾ لفظ الجلالة فاعل .. ﴿ رَبُّ ﴾ بدل أو صفة .. ﴿ الْعَالَمِينَ ﴾ مضاف إليه .. فعالم الخلق والأمر يعودان إلى الله تعالى ، وهو ربُّهما ..

.. وفي العبارة القرآنية : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، نرى أن الصيغة : ﴿ الْخَلْقُ ﴾ هي صيغة مصدر معرفة بأل التعريف ، وهي صيغة شاملة ، تشمل كل ما هو في عالم الخلق .. وأيضاً الصيغة : ﴿ وَالْأَمْرُ ﴾ هي صيغة مصدر معرفة بأل التعريف ، وهي صيغة شاملة ، تشمل كل ما هو في عالم الأمر .. بمعنى : كل ما في عالم الخلق يعود في خلقه إلى الله تعالى ، وكل ما في عالم الأمر يعود في إيجادهِ إلى الله تعالى ..

.. وتقديم عالم الخلق على عالم الأمر : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ ، ناتجٌ عن كون عالم الخلق تم خلقه (كمادّة) قبل اكتمال إطار الناموس الحامل لتدبير أمور عالم الخلق (السماوات والأرض) .. وهذا يوازي تقديم خلق السماوات والأرض ، على الاستواء على العرش : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ..

.. ولا يمكن لعاقل فيه ذرّة من روح أن يتخيّل العرش شيئاً مادياً .. فهل يستوي الله تعالى - حسب التصوّرات السفيهة - على شيءٍ مادّيٍّ من عالم الخلق ، ويكون حال هذا الاستواء هو تدبير شؤون عالم الخلق ذاته ؟!!! .. أليس عالم الخلق تُدار شؤونهُ عبر عالم الأمر ؟!!! .. فكيف من الممكن لعاقل فيه ذرّة من روح أن يتخيّل عالم الأمر حالاً

للاستواء على عالم الخلق !!!؟ .. كيف !!!؟ .. كيف من الممكن لعقل أن يتخيّل عالم الخلق أعلى من عالم الأمر !!!؟ .. لكن .. عندما تكون الأهواء السفهية معياراً ومنظراً لا تُرى دلالات كتاب الله تعالى إلاّ من خلاله ، فالنتيجة هي الضلال والإضلال ..

5 - ما نراه في كتاب الله تعالى ، أن الكرسي هو الإطار الحاوي لعالم الخلق المادي ،

حيث العبارة : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ واضحة وجلية في بيان ذلك :

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة : 255]

.. فالسماوات والأرض (جسد عالم الخلق) ، محتواة في الكرسي : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ .. وإضافة الكرسي (كحامل لعالم الخلق) لله تعالى ﴿كُرْسِيُّهُ﴾

تختلف عن إضافة العلم لله تعالى ﴿عَلِيمٌ﴾ .. فعلم الله تعالى صفة من صفاته جلّ وعلا

.. بينما الكرسي هو من الأعيان المنفصلة عن الذات الإلهية وصفاتها ، والمتعلّقة بعالم الخلق

.. ولنا وقفة - إن شاء الله تعالى - عند مسألة إضافة الأعيان لله تعالى ..

.. وحتى كرسي سليمان ، هو المتعلّق الماديّ للملكه ، ولما له من سلطان عليه ..

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص : 34]

.. فكلمة : ﴿جَسَداً﴾ ، تؤكد لنا أن كرسيّ سليمان عليه السلام ، هو المتعلّق

الماديّ للملكه .. وإلاّ .. كيف يمكن أن يُلقى ما هو ماديّ : ﴿جَسَداً﴾ ، على ما هو غير

ماديّ : ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ ؟ ... كيف !!!؟ ... مشتقات الجذر (ج ،

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ المهندس عدنان الرفاعي 18

س ، د) ترد في كتاب الله تعالى لتصف الجانب المادّي حصراً ، كجانب مادّي ، حيث ترد أربع مرّات ، في هذه الآية الكريمة ، وفي الآيتين :

﴿وَأَخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُورًا ۗ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۚ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف : 148]

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُورًا ۗ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه : 88]

.. فالعجل الذي أخرج السامري لبني إسرائيل هو تحقيق لمراد بني إسرائيل ، لما وقع في نفوسهم من تزيين عبادة الأصنام ، بعدما شاهدوا قوماً يعكفون على ذلك :

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ ۗ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مَجْهُلُونَ﴾ [الأعراف : 138]

.. بعد ذلك .. وفي غياب موسى عليه السلام عنهم ، استغل السامري هذا الغياب ، ليعمل لهم - من حليهم - صنماً مادياً (عجلاً جسداً) :

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ [طه : 87 - 88]

العبرة : ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ تصوّر لنا صناعة تمثالٍ من مادة زينة القوم وهي الحلي .. والعبرة : ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ﴾ تصوّر لنا تحويل هذا التمثال المادّي كجسد له خوار ، إلى صنمٍ للعبادة عليه .. ولذلك .. أمر موسى عليه السلام بتحريق هذا الصنم وبنسفه في اليمّ نسفاً ، كونه أصبح معبوداً لبني إسرائيل ..

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُْحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لِنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾

[طه : 97]

.. فما نراه أن العبارة : ﴿عِجَالًا جَسَدًا لَهُ خُورًا﴾ تبين لنا صورة جسم لعجل ، ولكن ، ليس جسماً ، فالحلي أُخرجت لهم جسداً (صورة جسم) ، ولكن له خوار .. ففي كتاب الله تعالى نرى للجذر (ج ، س ، م) مشتقين ، ودلالتهما واضحة جلية بأنها تعني الجسم الحي المكوّن من لحم ودم ، وليس مجرد المادّة المحسوسة (الجسد) ..

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة : 247]

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون : 4]

.. في كتاب الله تعالى تحمل مشتقات الجذر (ج ، س ، د) دلالاتٍ واسعة تشمل كل صورة مادّية تتمثل بجسد ، سواء كانت حيّة تأكل الطعام ، أم كانت لا تأكل الطعام .. فالجسد اسمٌ لكل صورة مادّية ، سواء كانت من اللحم والدم (جسم) ، أو لم تكن كذلك .. وهذا على خلاف الجسم بأنه حصراً من الدم واللحم .. هذا المعنى يتجلى معنا في قوله تعالى التالي ، حيث المشتق الرابع والأخير من مشتقات الجذر (ج ، س ، د) :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا

تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾

[الأنبياء : 7 - 8]

.. ما نراه أن الجملة القرآنية ﴿لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ هي صفة جسد ، بمعنى : وما جعلنا الأنبياء ذوي جسدٍ غير طاعمين ، أي لم نجعلهم جسداً لا يأكلون ، بل جسداً حياً من دمٍ ولحمٍ (جسماً) يأكلون الطعام ، بمعنى : وما جعلناهم جسداً ليس فيه حياة لا يأكلون الطعام ، ولكن جعلناهم جسداً فيه حياة يأكلون الطعام ..

.. وبإمكاننا أن نقرأ قول الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾
 بأنه يعني : وما جعلنهم جسداً أبداً [[كون الجسد - في إطاره العام - لا يقتضي
 بالضرورة جسماً مادياً حياً يأكل الطعام]] ، وبالتالي ما جعلناهم لا يأكلون الطعام ..
 .. وهنا سؤال يطرح نفسه : ما الدلالة التي يريد الله تعالى إيصالها لنا من هذه الصيغة :
 ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ ؟ ..

.. المكذبون برسالات الله تعالى يتعجبون من حمل الأنبياء كبشر لرسالات الله تعالى :

﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف : 63]

.. فالمكذبون يريدون أن يجيء ملكٌ مع الرسول البشر :

﴿فَلَمَّا تَرَكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ ۖ إِلَيْكَ وَصَاحِبِيُّ بِهٖ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود :
 12]

.. وإنزال الملك إلى الحياة الدنيا ، يكون في صورة جسد ، كصورة ، وصورة الجسد
 هذه بالتأكيد ليست جسماً من دم ولحم ، فلا تأكل الطعام ، ولا تصل إليه أصلاً :

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ۗ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِينٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود : 69 - 70]

من هنا نرى عظمة الصياغة القرآنية ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ ،
 بأنها تنفي كون الرسل البشر صوراً أجسادٍ لا تصل إلى الطعام (كالملائكة) ، بمعنى أن
 الله تعالى جعل رسله البشر أجساداً حية (أجساماً) تأكل الطعام ، كباقي البشر ..

.. وفي قوله تعالى ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌّ﴾ [طه : 88] ، نرى أنّ كلمة ﴿جَسَدًا﴾ ، تعني الجانب المادّي حصراً ، كصفة للعجل الذي أخرجهُ السامري ، ونرى إتباع هذه الكلمة بالعبارة : ﴿لَهُ خُوَارٌّ﴾ ، وهي ما يميّز هذا الجسد المادّي ، حيث أضلّ السامري - بذلك - بني إسرائيل ..

الهدف من هذا التوسّع في الشرح هو بيان حقيقة واضحة جليّة في كتاب الله تعالى ، أنّ الجسد هو اسمٌ لكلّ صورة مادّيّة .. وبما أنّ الله تعالى ألقى صورة مادّيّة ﴿جَسَدًا﴾ على كرسيّ سليمان : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص : 34] .. نستنتج .. أنّ كرسيّ سليمان هو المتعلّق المادّي للمكه .. فالمادّة لا تُلقى إلاّ على مادّة ، ولا يمكن إلقاء ما هو مادّي على ما هو ليس مادّيّاً ..

.. وهذا المعنى للكرسيّ بأنّه متعلّق المادّة كمادّة ، يتجلّى في قوله تعالى : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة : 255] .. فالكرسي هو الإطار الحامل للسموات والأرض (عالم الخلق) .. والعرش هو إطار الناموس الحامل لعالم الأمر ، حيث يدبّر جلّ وعلا أمور عالم الخلق (السماوات والأرض) ، عبر هذا الناموس ... فتدبير الأمر لعالمنا هذا (السماوات والأرض) ، يكون من خلال الاستواء على العرش ..

6 - كما بيّنا .. العرش هو إطار الناموس الحامل لعالم الأمر ، الذي عبره يتمّ تدبير شؤون عالم الخلق .. ولما كانت السماوات والأرض (جسد عالم الخلق) قد خلّقت من مادّة سابقة لوجودها ، فإنّ العرش الذي عبره يتمّ التدبير الإلهي لعالم الخلق ، موجود قبل خلق السماوات والأرض ..

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿ [هود : 7]

.. فالصيغة : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ ، نرى فيها العرش مضافاً لله تعالى ، وأنه كان على الماء ... والعرش المعني هنا ، هو قبل اكتمال خلق السماوات والأرض .. فإطار الناموس الحامل لعالم الأمر ، الذي عبره يتم تدبير شؤون عالم الخلق ، كان سلطانه - آنذاك - على الماء ، كون الماء هو المادة الموجودة قبل خلق السماوات والأرض ..

.. فما نراه أن كلمة : ﴿ وَكَانَ ﴾ في العبارة القرآنية : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ ، تصوّر لنا كينونة العرش في مرحلة ما قبل اكتمال خلق السماوات والأرض في ستة أيام : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ .. فكينونة إطار الناموس الحامل لعالم الأمر ، الذي عبره يتم تدبير شؤون عالم الخلق ﴿ عَرْشُهُ ﴾ - آنذاك - كانت على الماء .. بمعنى : أن سلطان الله تعالى في تدبير أمور عالم الخلق ، كان على الماء ..

.. وحرف لام التعليل في كلمة : ﴿ لِيَبْلُوكُمْ ﴾ ، وما خلفها : ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ، نراه متعلقاً بكلمة : ﴿ خَلَقَ ﴾ .. فخلق السماوات والأرض ، هو من أجل اختبارنا أيّنا أحسن عملاً .. وهذا يحاكي الهدف من خلق الموت والحياة ..

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك : 2]

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ المهندس عدنان الرفاعي 23

.. وكما قلنا سابقاً ، لو كان العرش يعني المتعلق المادّي ، لكان هو الماء ، وليس على

الماء .. فالله تعالى لم يقل : (وكان عرشه الماء) إنما يقول جلّ وعلا : ﴿ وَكَانَ

عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ .. إذا الماء كمادّة موجودة - آنذاك - ليست هي ذات العرش ..

7 - يبيّن لنا كتاب الله تعالى ، أنّ السماوات هي ﴿ سَبْع ﴾ ، وأنّ الأرض مكوّنة أيضاً من سبع طبقات ، وأنّ الأمر الإلهي يتنزّل بينهن ..

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْمُرُوا أَنْ

اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق : 12]

.. فهل هذا يتعلّق بكون اقتران العرش (كإطار حامل لعالم الأمر) مع الاستواء ، يرد

سبع مرّات في كتاب الله تعالى ؟ ..

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : 54]

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [يونس : 3]

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الرعد : 2]

﴿ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : 5]

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الفرقان : 59]

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [السجدة : 4]

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الحديد : 4]

8 - عطف ربويّة العرش على ربويّة السماوات والأرض :

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [المؤمنون : 85]

﴿ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الزخرف : 82]

.. مع كون العرش موجوداً قبل خلق السماوات والأرض ، إضافة إلى كون الاستواء على العرش قد تمّ بعد خلق السماوات والأرض .. كلُّ ذلك .. يؤكّد صحّة ما نذهب إليه في البحث ، بأنّ العرش هو إطار الناموس الحامل لعالم الأمر ، الذي عبره يتمّ تدبير شؤون عالم الخلق ..

9 - بما أنّ العرش هو إطار الناموس الحامل لعالم الأمر ، الذي عبره يتمّ تدبير شؤون عالم الخلق ، فإنّ افتراض وجود آلهة مع الله تعالى ، يقتضي أنّهم شركاء مع الله تعالى .. وبالتالي .. كون الله تعالى ذي العرش ، وكون هؤلاء الآلهة - في هذه الحالة المفترضة -

شركاء مع الله تعالى ، إذاً ، سيكون لهم سبيلٌ إلى الشراكة في ربوبية هذا العرش : ﴿ قُلْ

لَوْ كَانَ مَعَهُ آلهةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَتَّغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : 42]

.. وبالتالي .. ستفسد السماوات والأرض ، بسبب تعدد الأوامر للشيء ذاته .. فتعالى الله

ربّ العرش وتترّه عن شرك المشركين الذين يزعمون بوجود آلهة معه : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا

آلهةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء : 22] ..

.. فقله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلهةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَتَّغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ

سَبِيلًا ﴾ ، يؤكّد صحّة ما نذهب إليه ، في تعريفنا للعرش .. فالعبارة : ﴿ إِذَا لَابَتَّغَوْا

إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ ، لا تعني وصول الآلهة المفترضين إلى السماوات والأرض ،

لأنّ وجودهم المفترض هو أصلاً في السماوات والأرض ، وهذا ما تحمله دلالة كلمة :

﴿ فِيهِمَا ﴾ : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلهةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ... هذه العبارة : ﴿ إِذَا لَابَتَّغَوْا

إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ ، تعني وصول الآلهة المفترضين إلى الناموس الحامل لعالم الأمر ،

الذي عبره يتمّ تدبير شؤون عالم الخلق (السماوات والأرض) .. وبالتالي .. تتعدّد أوامر

تدبير أمور عالم الخلق وتختلف على عدد الآلهة المفترضين .. وبالتالي .. ستفسد السماوات

والأرض .. إذا .. العرش ليس السماوات والأرض .. العرش هو : إطار الناموس الحامل لعالم الأمر ، الذي عبره يتم تدبير شؤون عالم الخلق (السماوات والأرض) ..
10 - حمل الملائكة للعرش لا يعني أنه بناءً من مادة .. ومن قمة الجهل توهم ذلك ..

﴿ الَّذِينَ سَخِمُونُ الْعَرْشِ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر : 7]

.. حمل الملائكة للعرش ، يؤكد صحّة ما نذهب إليه ، بأنّ العرش هو إطار الناموس الحامل لعالم الأمر ، حيث يدبّر جلّ وعلا أمور عالم الخلق (السماوات والأرض) ، عبر هذا الناموس ... فالملائكة هي التي تحمل الأوامر الإلهية ، التي من خلالها يتم تدبير شؤون عالم الخلق ..

.. العبارة القرآنية : ﴿ الَّذِينَ سَخِمُونُ الْعَرْشِ ﴾ تعني : يحملون ((ليس حملاً مادياً كحمل البهائم للأثقال ، لأنّ العرش ليس بناءً مادياً ، كما يتوهم الجهلة)) محتوى عالم الأمر ، إلى عالم الخلق لتسيير شؤونه .. وعالم الأمر هو مجموعة الأوامر الإلهية ، كقيمة معنوية غير مادية .. بمعنى : يحملون كلّ الأوامر المحمولة بالعرش كإطار يحيط بعالم الأمر ، إلى عالم الخلق ..

.. فمن قمة الجهل ، تصوّر العرش بناءً مادياً تحمله الملائكة ، كما تحمل البهائم

الأثقال المادية .. فكيف يوصف الله تعالى بأنه ذو العرش : ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴾ ذُو

الْعَرْشِ الْجَبِيدُ ﴾ [البروج : 14 - 15] ، ويكون العرش شيئاً مادياً ؟!!! .. بمعنى :

كيف يكون الله تعالى موصوفاً بأنه ذو شيءٍ مادّي ؟!!! .. كيف ؟!!! ..

.. قمة المهزلة والسفاهة ، تتجلّى عند من يتخيّل العرش شيئاً مادياً ، ويعيد الضمير

الفاعل في كلمة : ﴿ اسْتَوَى ﴾ في الآية الكريمة : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾

[طه : 5] ، إلى الله تعالى ، كذات ، وهو يعلم أن الاستواء على العرش تم بعد خلق السماوات والأرض ، بنصوص صريحة حيث كلمة : ﴿ثُمَّ﴾ جليّة في ذلك ..

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

الْعَرْشِ﴾ [الأعراف : 54]

.. الذين توقّفوا عن الكلام في تفسير هذه الآية الكريمة خلال التاريخ ، كانوا يعلمون دلالة الاستواء ، ويعلمون دلالة كلمة : ﴿ثُمَّ﴾ ، التي تعطف الاستواء على العرش على خلق السماوات والأرض .. وإعادتهم للضمير الفاعل في كلمة : ﴿اسْتَوَى﴾ إلى الله تعالى ، مع إدراكهم لتنزيه الذات الإلهية عن الحدوث والتحوّل من حالٍ لحال .. كلُّ ذلك .. دفعهم للتوقّف عن الكلام في تفسير هذه الآية الكريمة ، لأنّ فيهم من الرّوح ما يجعلهم يتوقّفون عن أيّ كلام يؤدّي إلى الإساءة للذات الإلهية ..

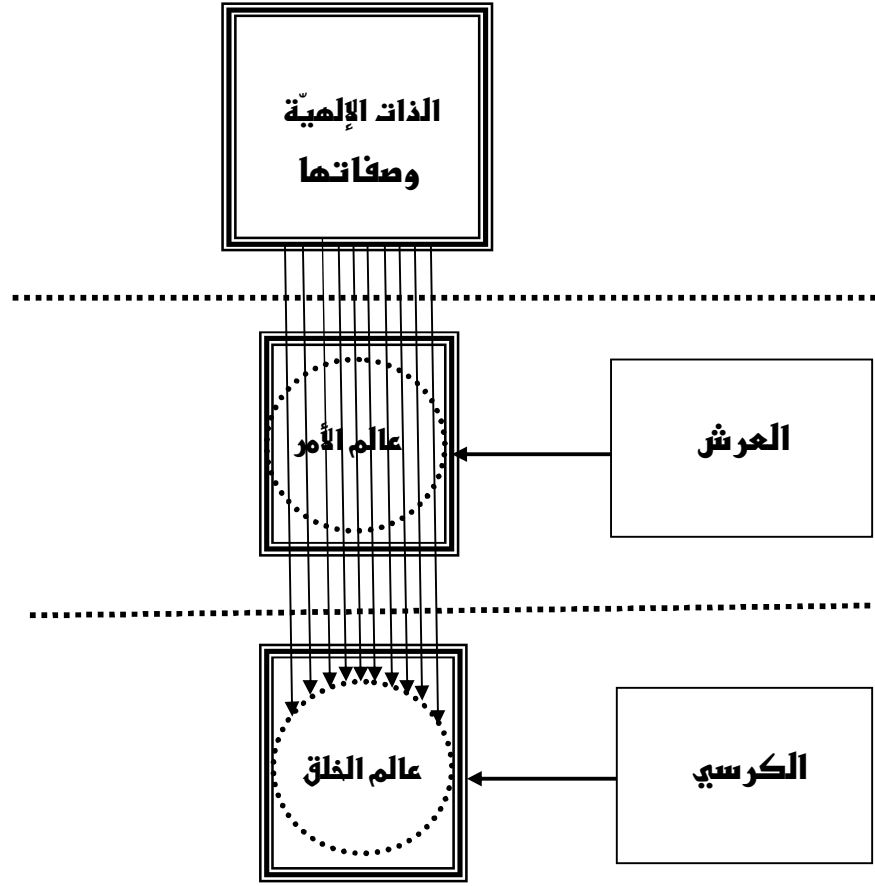
.. أمّا الجاهل بدلالة كلمة : ﴿ثُمَّ﴾ ، التي تعطف الاستواء على العرش على خلق السماوات والأرض .. والجاهل بكون الذات الإلهية منزّهة عن الحدوث والتحوّل ما بين حالٍ وحال .. والجاهل بكون العبارة : ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ ، التي ترد وسط كلمات ترد

كصفة للذات الإلهية : ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ ﴿ذُو الْعَرْشِ الْجَبِيدُ﴾ [البروج : 14 -

15] ، تحتم استبعاد كون العرش شيئاً مادياً .. والجاهل بكون البدل في قوله تعالى :

﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف : 82] ،

هو للربوبية : ﴿رَبِّ﴾ ، وليس ما بين العرش من جهة والسماوات والأرض من جهةٍ أُخرى ، كما بيّنا .. هذا الجاهل .. لن يردعه جهله عن الزعم بأنّ العرش جسدٌ مادّي ، وعن الزعم أنّ الله تعالى هو - كذات - من استوى بعد أن لم يكن مستوياً ، على هذا الجسد المادّي ..



.. وفي قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : 5] ، نرى أن كلمة :

﴿ اسْتَوَى ﴾ من الجذر : (س ، و ، ي) ، ودلالاته تدور في إطار : الإتمام والإكمال

والاستقرار ، وهذا واضح في كتاب الله تعالى ، فالتصفح لمشتقات الجذر (س ، و ، ي)

في كتاب الله تعالى يرى ذلك جلياً ..

.. وعندما تتعلّق بمشتق من مشتقات الجذر (س ، و ، ي) مسألتان متقابلتان ، تُسقط دلالات هذا الجذر ((الإتمام والإكمال والاستقرار)) على هذه التقابل ، فيكون التماثل والاعتدال ، هو متعلّق الإتمام والإكمال والاستقرار ، مقابلةً بينهما :

﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْحَبِيبُ وَالطَّيِّبُ ﴾ [المائدة : 100]
﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام : 50]
﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ [الرعد : 16]
﴿ أَقَمَنَ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنَ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾ [السجدة : 18]
﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾ [فاطر : 22]
﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : 9]
﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ [فصلت : 34]
﴿ لَّا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ [الحشر : 20]

.. فما نراه أنّ دلالات التماثل والاعتدال تكون بمقارنة مسألتين متقابلتين ، تعلّقاً بمشتق من مشتقات الجذر (س ، و ، ي) .. فقط .. أمّا أصل دلالات هذا الجذر اللغوي فهو الإتمام والإكمال والاستقرار ..

.. وفي الآيات الكريمة المتعلقة بالاستواء على العرش ، نرى أنّ المعنى الجرد للاستواء هو ذاته ((الإتمام والإكمال والاستقرار)) ، ففي جميع هذه الآيات الكريمة لا تُوجد مسألتان متقابلتان تتعلّقان بالاستواء .. إنّما هناك استواء على العرش ، دون أيّ مقابلة ..

.. ومن قمة الجهالة تخيل كلمة : ﴿ اسْتَوَى ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾ [يونس

: 3] ، على أنّها بمعنى الاعتدال والتماثل ... فلا تُوجد مقابلة بين الله تعالى وبين مسألة

أخرى في الاستواء المعني .. ولا يمكن أن تُوجد هكذا مقارنة ، فلا يُوجد ما يتمثل مع الله تعالى .. ولو فرضنا جدلاً وجود هذا التماثل ، لو فرضنا ذلك جدلاً .. هذا التماثل سيكون بين الله تعالى وبين من ؟!!!!!! ... ربما يقول سفيه : التماثل هو بين الله تعالى وبين ذاته .. وهنا نقول : هل الله تعالى وذاته مسألان متقابلتان مختلفتان كالتقابل الذي رأيناه في النصوص القرآنية التي تتعلّق في كلٍّ منها مسألان متقابلتان بالاستواء ؟!!!!!! .. وهل الله تعالى لم يكن متماثلاً مع ذاته قبل الانتهاء من خلق السماوات والأرض وأصبح متماثلاً مع ذاته بعدها ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً ؟!!!!!! ..

.. التصوّر السفيه بأن الاستواء هنا بمعنى التماثل والاعتدال ، مع إعادة فاعل :

﴿ اسْتَوَى ﴾ إلى الله تعالى ، يعني أنّ الله تعالى أصبح متماثلاً مع ذاته ، بعد أن لم يكن

متماثلاً مع ذاته .. فكلمة : ﴿ ثُمَّ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ، واضحة بأن الاستواء المعني حصل بعد الانتهاء

من خلق السماوات والأرض ، بمعنى أنّه لم يكن هناك استواء قبل الانتهاء من خلق السماوات والأرض ..

الاستواء المعني في هذه الآيات الكريمة ، هو ذاته الدلالات المحمولة بالجذر (س ، و ،

ي) في كتاب الله تعالى ، ويعني : ((الإتمام والإكمال والاستقرار)) .. وما يجب أن

نعلمه أنّ دلالات هذا الجذر - وكافة الجذور اللغوية - حينما تتعلّق بالله تعالى ، تُقاس

على الله تعالى ، بمعنى : علينا أن نرفع تصوّراتنا المادّية ، وأن نتصوّر الدلالات في معيار :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : 11] ..

.. ما نعيه أنّ تعلّق المسائل بالله تعالى ، ليس كتعلّقها بما هو دون الله تعالى ، فالذي

ليس كمثل شيء هو الله تعالى ، وليس المسائل المتعلّقة به جلّ وعلا ، والمضافة إليه ..

لكن .. هذه المسائل المتعلّقة بالله تعالى ، والمضافة إليه ، تختلف ماهيتها حينما تتعلّق بما هو

دون الله تعالى ، وحينما تُضاف لما هو دون الله تعالى ، وذلك كون الله تعالى ليس كمثلته شيء ، وهي تُضاف إليه ، وتتعلّق به ... مثلاً ... ناقة صالح عليه السلام ، أُضيفت إلى الله تعالى ..

﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذُرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ ﴾ [الأعراف : 73]

.. الذي ليس كمثلته شيء هو الله تعالى ، وليس الناقة .. ولكن .. هذه الناقة ليست كباقي النوق ، كونها مضافة لله تعالى الذي ليس كمثلته شيء ..
 .. وكنا قد رأينا أنّ العرش هو إطار الناموس الحامل لعالم الأمر ، حيث يدبّر جلّ وعلا أمور عالم الخلق (السماوات والأرض) ، عبر هذا الناموس .. فالاستواء ليس حركةً ماديةً مكانيةً زمانيةً ، حدثت مع الذات الإلهية .. أبداً .. الذي تمّ واكتمل هو أمر الله تعالى ، على بيان الناموس الحامل لعالم الأمر (العرش) ، حال كونه جلّ وعلا يدبّر أمور عالم الخلق (السماوات والأرض) ، عبر هذا الناموس ..
 .. في صياغة نصوص كتاب الله تعالى ، نرى أنّ دلالات الكلمة القرآنية ثابتة مستمدة من جذرها اللغوي ، وأنّ السياق المحيط بها ، لا يغير من هذه الدلالات .. لكن .. السياق المحيط بالكلمة ، يُحدّد سمّت دلالاتها كلبنة (ثابتة الدلالات) في بناء الدلالات الذي يحمله النص .. فكما أنّ دلالات الحرف القرآني ثابتة ، ويدخل الحرف (بهذه القيمة الدلالية الثابتة) في بناء الكلمات المختلفة ، وبحيث يشارك مع خصوصية ترتيب الحروف المحيطة به - في ذات جسم الكلمة - في بناء دلالات الكلمة .. كذلك .. الكلمة كقيمة دلالية ثابتة ، يتحدّد سمّت دلالاتها في بناء الجملة التي تنتمي إليها ، من سياقها المحيط بها ..
 .. لنأخذ مثلاً .. هو قوله تعالى :

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَبًّى ﴾ [طه : 129]

.. في النصِّ الكريم: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾ ، نرى في حرف الامتناع لوجود: ﴿وَلَوْلَا﴾ ، أنَّ الواو استنافية .. ﴿كَلِمَةٌ﴾ : مبتدأ محذوف الخبر ، تقديره موجودة .. وجملة: ﴿سَبَقَتْ﴾ صفة لكلمة: ﴿كَلِمَةٌ﴾ .. ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ جار ومجرور متعلقان بكلمة: ﴿سَبَقَتْ﴾ .. ﴿لَكَانَ﴾ فعل ماض ناقص ، واللام واقعة في جواب ﴿وَلَوْلَا﴾ ، واسمها ضمير مستتر بتقدير (هو) يعود على الإهلاك .. ﴿لِزَامًا﴾ خبر كان ..

.. وإلى هنا السياق واضح .. ويأتي حرف العطف في كلمة ﴿وَأَجَلٌ﴾ ليعطف الأجل وصفته: ﴿مُسَمًّى﴾ على كلمة: ﴿كَلِمَةٌ﴾ .. بمعنى: ولولا أجلٌ مسمى كان الإهلاك لازماً .. فما بين حرف العطف وكلمة أجل في الكلمة: ﴿وَأَجَلٌ﴾ ، ساقنا السياق لإدخال دلالة كلمة (لولا) ، وبعد الجملة ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ ساقنا السياق أيضاً إلى إدخال دلالة جملة كاملة هي: (كان الإهلاك لازماً) ..

.. فالجملة ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ تدخل في بناء من المعنى والدلالات هو: ولولا أجلٌ مسمى كان الإهلاك لازماً ، تمَّ استحضاره من الجملة السابقة لها: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾ ..

.. ولنأخذ مثلاً آخر .. لننظر في قوله تعالى ..

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُحُدِيِّدِ ﴿٥٠﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ [البروج 4 - 5 : 129]

.. ﴿قُتِلَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول .. ﴿أَصْحَابُ﴾ نائب فاعل .. ﴿الْأَخْدُودِ﴾ مضاف إليه .. وإلى هنا السياق واضح .. بعد ذلك تأتي كلمة : ﴿النَّارِ﴾ ، بدل اشتمال .. ﴿ذَاتِ﴾ صفة النار مضافة لكلمة ﴿الْوُقُودِ﴾ ..

.. باختصار شديد .. وتبسيط للأمر .. تمّ تقدير مضاف لكلمة ﴿النَّارِ﴾ ، بتقدير : ((أصحابُ النار)) .. وتمّ تقدير فعل مبني للمجهول (قُتِلَ) لنائب الفاعل والمضاف إليه ((أصحابُ النار)) .. أي تمّ تقدير : ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ﴾ استنباطاً من السياق ، ليكون معنى الآيتين معاً : ((قُتِلَ أصحابُ الأخدود ، قُتِلَ أصحابُ النار ذاتِ الوقود)) ..

.. وبناء على ما سبق ، من تناولنا لمسألة العرش والاستواء ، في كتاب الله تعالى ، ومن منظار قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ، نرى أنّ فاعل الفعل ﴿اسْتَوَى﴾ في قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : 5] ، هو : (أمر) الله تعالى ، وليس ذات الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً .. ليكون معنى العبارة : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ : الرحمن ، تمّ واكتمل (أمره) ، على بيان الناموس الحامل لعالم الأمر (العرش) ، حال كونه جلّ وعلا يدبّر أمور عالم الخلق (السماوات والأرض) ، عبر هذا الناموس .. فكون الذات الإلهية مُتَزَهة عن الحدوث والتحوّل ، وكون العرش هو الإطار الحامل لعالم الأمر ، فإنّ دلالة كلمة (أمره) ، محمولة ضمناً في هذه العبارة القرآنية ... ولتقريب الصورة إلى الذهن ، لنقف عند قوله تعالى :

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۖ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۖ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ۖ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۖ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۖ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم : 5 -

.. السياق كله إلى ما قبل الآية الكريمة : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ يتعلّق بجبريل (الروح الأمين) عليه السلام ، فلا شك أنّ الذي : ﴿ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ هو جبريل عليه السلام .. لكن .. كلمة : ﴿ عَبْدِهِ ﴾ في الآية الكريمة : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ ، تُوقِفُ تعلّق سياق الضمائر بجبريل عليه السلام ، ليكون الضمير المستتر الفاعل في كلمة : ﴿ فَأَوْحَىٰ ﴾ عائداً إلى الله تعالى .. فالعبوديّة في هذا السياق الروحي لا تكون إلاّ لله تعالى .. بمعنى : فأوحى الله تعالى إلى عبده ما أوحى : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ ..

.. أيضاً .. كون الذات الإلهية مُتَزَهة عن التحوّل والحدوث ، وكون العرش هو الإطار الحامل لعالم الأمر ، وعبره يكون أمرُ الله تعالى في تدبير شؤون عالم الخلق (السماوات والأرض) ، فإنّ ذلك يقتضي وجود كلمة (أمره) ، مُضمرة ، في هذه العبارة القرآنيّة ، وفي غيرها من العبارات الحاملة لمسألة الاستواء على العرش .. فقلوه تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ يعني : الرحمن ، تمّ واكتمل أمره على بيان الناموس الحامل لعالم الأمر (العرش) ، حال كونه جلّ وعلا يدبّر أمور عالم الخلق (السماوات والأرض) ، عبر هذا الناموس ... ولتقريب الصورة إلى الذهن ، نقول مثلاً : الملك ، تمّ واكتمل أمره على بيان الدستور الحامل لحكم البلاد ، حال كونه يدير أمور البلاد من خلال هذا الدستور مثلاً .. في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس : 3]

.. يكون المعنى : إن ربكم الله تعالى الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، ثم تمّ واكتمل أمره تعالى على بيان الناموس الحامل لعالم الأمر (العرش) ، حال كونه جلّ وعلا يدبّر أمور عالم الخلق (السماوات والأرض) ، عبر هذا الناموس ..

.. وما رأيناه في إعادة الضمير الفاعل في كلمة : ﴿اسْتَوَى﴾ : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى

الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ إلى أمر الله تعالى وليس إلى ذات الله تعالى ، نراه أيضاً في قوله تعالى :

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : 29]

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُؤُوسَ مِن فَوْقِهَا وَبَدَرَ فِيهَا أَقْوَابًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّابِغِينَ﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُحَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت : 10 - 11]

.. فالذي استوى إلى السماء بعد أن لم يكن مستوياً ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾

ليس الله تعالى كذات تتحرك من مكان لآخر ، كما يتخيّل السفهاء ، تعالى الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً .. الذي استوى إلى السماء هو أمر الله تعالى ..

.. وفي سياق هذا البحث ، لا بدّ من الوقوف عند دلالة تعلق العرش بالربوبية ، مثل

قوله تعالى : ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ، وكيف يتعلّق عالم الأمر - وحامله - بالربوبية ؟ ..

☉ - في كتاب الله تعالى ، لم ترد عبارة بالصيغة : ((عالم الخلق)) ، أو بالصيغة :

((عالم الأمر)) .. إنّما ترد الصيغتان : [[﴿الْخَالِقِ﴾ ، ، ﴿وَالْأَمْرِ﴾]] .. وكلّ

منهما صيغة مصدر معرّف بأل التعريف ، وكلّ منهما تشير إلى عالمٍ مُستقل عن الآخر ، وما يجمعهما - في العبارة القرآنية الحاملة لهما - أنّهما يعودان في وجودهما ، لله تعالى :

.. واستخدامنا لهاتين العبارتين ، هو من أجل تبسيط شرح المسألة .. لكن .. هذا لا يعني أن هاتين العبارتين ليستا صحيحتين .. في كتاب الله تعالى هناك ساحتان متميزتان ، بإمكاننا أن نُطلق على الساحة الأولى منهما المصطلح : ((عالم الخلق)) ، وأن نُطلق على الساحة الثانية منهما المصطلح : ((عالم الأمر)) .. وقد فصلت ذلك في النظرية الثانية (القدر) ، وفي كتاب قصة الوجود ، وبيّنت أن للوجود ثلاث مراتب :

1 - الذات الإلهية وصفاتها : وهو وجودٌ مطلقٌ غير محكوم للمكان والزمان ، وهو حاكمٌ للمكان والزمان ، وإليه تعود كلُّ الموجودات الأخرى ، سواء موجودات عالم الأمر ، أم مخلوقات عالم الخلق ..

2 - عالم الأمر (كالروح والقرآن الكريم) : وهو وجودٌ غير محكوم للمكان والزمان .. ولكنه ليس حاكماً للمكان والزمان .. وهذا الوجود يتعلّق بصفات الله تعالى مباشرةً .. وفي ساحة هذا الوجود لا تجتمع المتناقضات ..

.. وما يجب علمه أن عالم الأمر ليس محتوى في الذات الإلهية وصفاتها ، فهو عالمٌ مستقل عن الذات الإلهية وصفاتها ، ويتعلّق تعلقاً مباشراً بالصفات الإلهية ..

3 - عالم الخلق : ويتكوّن من مرتبتين :

أ - وجود مخلوق غير محسوس (كالنفس البشرية) : وهذا الوجود على الرغم من أنّه متحرراً من قانون المكان والزمان (أي ينتمي إلى عالم ما فوق المادة والمكان والزمان) ، إلاّ أنّه يخضع لقوانين المكان والزمان حينما يُؤطرّ بجزئيات المادة في عالم الحسّ ، كالنفس البشرية حينما تكون داخل الجسم ..

ب - وجود مخلوق محسوس (عالم المادة الذي تنتمي إليه أجسامنا) : وهو وجود محكوم لقوانين المكان والزمان ..

.. وهذان العالمان (عالم الخلق ، وعالم الأمر) يعودان لله تعالى في وجودهما ..

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف : 54]

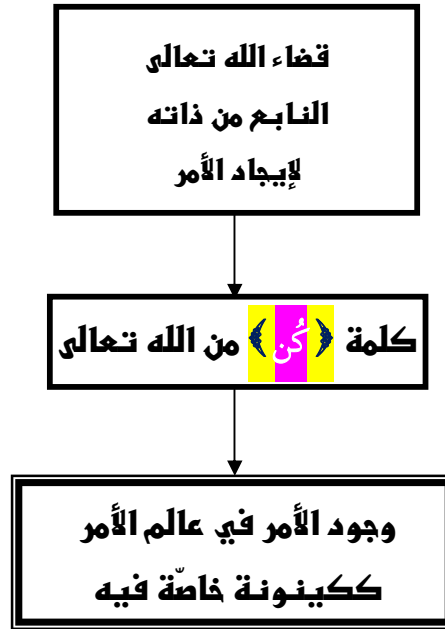
.. كلمة ﴿أَمْرٌ﴾ هي صيغة مصدر ، وبالتالي ، شاملة لكل معاني الجذر اللغوي (أ ، م ، ر) .. وما نراه في كتاب الله تعالى ، أن الأمر يتم قضاءً وجوده من الله تعالى ، أولاً .. وبعد ذلك .. يأخذ هذا الأمر كينونته المستقلة بكلمة ﴿كُنْ﴾ من الله تعالى :

﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة : 117]

﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران : 47]

﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مریم : 35]

﴿فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر : 68]



.. إذا .. هناك قضاء نابع من ذات الله تعالى لإيجاد الأمر .. بعد ذلك .. يتلقى الأمر

من الله تعالى كلمة ﴿كُن﴾ .. بعد ذلك .. يكون الأمر كياناً مفعولاً في مرتبته ، فالله

تعالى غالبٌ على أمره :

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء : 35]

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف : 21]

.. إذا .. ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ له كينونته المستقلة في عالمه ، ويخضع لفعل الله تعالى ، حيث يتم

إنزاله إلى عالمنا : ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق : 5]

.. الموجود في عالم الأمر ، تمّ قضاء وجوده من الله تعالى ، بعد ذلك ، تلقى من الله

تعالى كلمة ﴿كُن﴾ ، بعد ذلك ، أصبح موجوداً وخاضعاً لأفعال الله تعالى ولربوبيّة الله

تعالى .. فموجودات عالم الأمر ، هي في مرتبة مستقلة ، وأدنى من مرتبة الذات الإلهية وصفاتها .. وتتعلق تعلقاً بصفات الله تعالى ..

ومخلوقات عالم الخلق (الأشياء) ، تُخلق في هذا العالم المخلوق أيضاً بكلمة ﴿كُن﴾

من الله تعالى :

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل : 40]

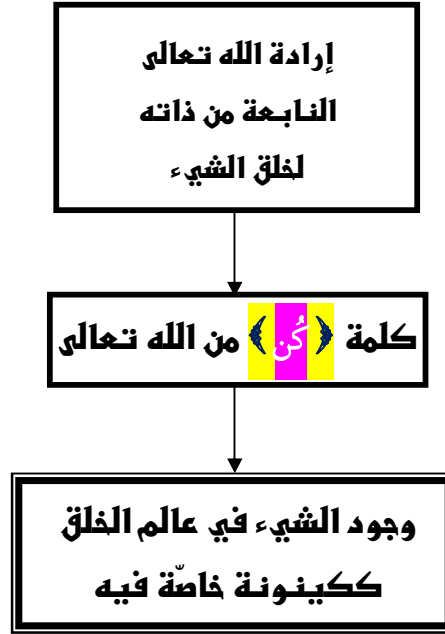
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس : 82]

.. فأمر الله تعالى النابع من ذاته : ﴿كُن﴾ والذي به يُوجد الأمر الذي قضى الله تعالى

وجوده في عالم الأمر ككينونة مستقلة ، هو ذاته أمر الله تعالى النابع من ذاته : ﴿كُن﴾

والذي به أراد الله تعالى وجود الشيء كمخلوق في عالم الخلق ... وكلاهما [] موجود

عالم الأمر ، ومخلوق عالم الخلق [] أدنى من مرتبة الذات الإلهية وصفاتها ..



الله تعالى هو الذي أوجد عالم الأمر الذي يتعلّق بصفاته مباشرة .. وهنا علينا أن نتمييز بين أمر الله تعالى النابع من ذاته بإيجاد عناصر عالم الأمر في عالم الأمر ، وبخلق عناصر عالم الخلق ، من جهة ، وبين عناصر عالم الأمر كأعيان منفصلة عن الذات الإلهية وصفاتها ، من جهة أخرى ..

عناصر عالم الأمر ، وعناصر عالم الخلق ، لكلّ منها عالمه الخاص به الخاضع لربوبية الله تعالى ، والذي هو دون الذات الإلهية وصفاتها .. وإلا .. كيف بنا أن نفهم قوله تعالى :

﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ﴾ [الطلاق : 5] ؟ .. أليس الضمير المتصل الهاء في

كلمة : ﴿ أَنْزَلَهُ ﴾ يعود إلى : ﴿ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ ؟ .. أليس : ﴿ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ خضع لفعل هو

الإنزال : ﴿ أَنْزَلَهُ ﴾ ؟ .. هل من الممكن لعاقل أن يتخيّل - مجرد تخيّل - أن ذات الله

تعالى وصفاته خاضعة لأفعاله؟!!! .. إذا .. العبارة : ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ تصوّر لنا موجوداً
 منتمياً لعالم الأمر ، منفصلاً عن الذات الإلهية وصفاتها ، غير خاضع للزمان والمكان ،
 قضى الله تعالى وجوده ، وتمّ إيجاده بكلمة : ﴿كُنْ﴾ من الله تعالى : ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا
 فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ، وتمّ خضوعه لفعل الإنزال الذي فاعله الله تعالى ..
 .. إذا .. هذا الموجود : ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ المستقل بذاته كمنتمي لعالم الأمر ، يختلف عن
 أمر الله تعالى النابع من ذاته جلّ وعلا بإيجاد هذا الموجود .. فما نعينه بموجودات عالم
 الأمر كذوات مستقلة بذاتها ، ليس أمر الله تعالى النابع من ذاته بإيجادها ، إنّما هي ذاتها
 كموجودات أوجدت بأمر الله تعالى النابع من ذاته ، وخضعت لأفعال الله تعالى ..
 .. وموجودات عالم الأمر ، خاضعة لربوبية الله تعالى ، شأنها بذلك شأن مخلوقات عالم
 الخلق .. لننظر في قوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ

أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنْزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ [القدر : 1 - 4]

.. أليس الضمير (هم) في كلمة : ﴿رَبِّهِمْ﴾ يتعلّق ب : ﴿الْمَلَكِ وَالرُّوحِ﴾ ؟ ..
 ألا يعني ذلك أنّ : ﴿الْمَلَكِ وَالرُّوحِ﴾ يخضعان لربوبية الله تعالى : ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَكِ
 وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ ؟ .. ألا تشمل كلمة : ﴿وَالرُّوحِ﴾ كلّ عناصر
 عالم الأمر بما فيها الروح الأمين عليه السلام ؟ .. أليس الروح الأمين عليه السلام هو ذاته
 المعنى بكلمة : ﴿رُوحَنَا﴾ في قوله تعالى : ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا
 رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم : 17] ، والذي خضع لفعل الإرسال من الله
 تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾ ؟ ..

.. الله تعالى ، هو الذي خلق عالم الخلق الذي يحتاج في كل لحظة لله تعالى ، حيث

يُعطيهِ اللهُ تعالى حيثيات وجوده : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ۗ

وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر : 41]

.. فالذي يحتاج لله تعالى في حيثيات وجوده في كل لحظة هو عالم الخلق ﴿ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ ﴾ ، كما بينت في النظرية الثانية (القدر) .. بينما عالم الأمر ، من خلاله يتم

الأمر الإلهي بإعطاء حيثيات الوجود لعالم الخلق .. فبأمر الله تعالى تقوم السماء والأرض في كل لحظة ، في عالمها الزماني المكاني ..

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾ [الروم : 25]

.. إن إمساك السماوات والأرض (عالم الخلق) من الزوال في كل لحظة ، يكون من

خلال تدبير الله تعالى لأمر عالم الخلق (السماوات والأرض) ، عبر الناموس الذي اكتمل أمر الله تعالى على بيانه ، كحامل لعالم الأمر ..

.. ومن الخطأ الكبير النظر إلى موجودات عالم الأمر (كالروح والقرآن الكريم) من

منظار الزمان والمكان الذي يحكمنا ككائنات تنتمي إلى عالم الخلق .. ومن الخطأ الكبير

النظر إلى موجودات عالم الخلق (السماوات والأرض) من منظار روحي مجرد عن الزمان والمكان .. فهما عالمان مستقلان ، لكل منهما حدوده التي تميزه عن الآخر ..

.. إن إرجاع موجودات عالم الأمر (كالروح والقرآن الكريم) إلى زمن محدد يتعلق

– وفق مفهومنا للزمان وإحساسنا به – ببداية وجودها ، هو محاولة لوضعها في معيار لا ينتمي إلى عالمها أصلاً ، كالذي يُريد معرفة أوزان الأشياء عبر معيار الألوان ..

.. من هنا نرى أن إطلاق العبارة ((عالم الخلق)) على مادة السماوات والأرض ،

ليس مناقضاً لمحمل ما يحمله كتاب الله تعالى .. وإطلاق العبارة ((عالم الأمر)) على

موجودات هذا العالم كالروح والقرآن الكريم ، ليس مناقضاً لمحمل ما يحمله كتاب الله تعالى ... فقله تعالى :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

[الإسراء : 85]

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

[الشورى : 52]

.. يبيّن لنا تعلق الروح والقرآن الكريم بعالم الأمر .. وفي الوقت ذات ، يبيّن لنا كتاب الله تعالى في العديد من آياته الكريمة تعلق كل الأشياء بعالم الخلق ..

☉ - في كتاب الله تعالى ، العبارة ﴿ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، تتعلق كلمة ﴿ الْعَالَمِينَ ﴾ فيها

بالسياق المحيط .. ومن قمة الجهالة حصر دلالات كلمة : ﴿ الْعَالَمِينَ ﴾ بالبشر ، اعتماداً على ورودها في بعض السياقات القرآنية الخاصة بالبشر .. أليس عالم الجنّ منذراً بالقرآن الكريم :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۗ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

[الأحقاف : 29 - 32]

.. هل من الممكن استثناء عالم الجن من كلمة: ﴿الْعَالَمِينَ﴾ في قوله تعالى ؟ :

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان : 1]

.. أليست ربوبية الله تعالى تتعلّق بعالمي الإنس والجن ؟ ..

﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء : 27]

﴿..... فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف : 50]

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا اللَّهَ أَصْلَانًا مِنْ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لِنَجْعَلَهُمَا تَحْتَ

أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت : 29]

.. من قمة الجهالة حصر ربوبية الله تعالى بالبشر ومادة السموات والأرض (عالم

الخلق) .. فهل ﴿الْعِزَّةُ﴾ - بمعناها المجرد كما ترد في قوله تعالى التالي - جسدٌ مادي

من مادة عالم الخلق (السموات والأرض) ؟ ..

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصفات : 180]

.. هل من يحمل العرش ومن حوله ، هم من عالم البشر ؟ ..

﴿الَّذِينَ سَخِمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ

وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ

ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [غافر : 7 - 8]

.. أليست كلمة ﴿رَبَّنَا﴾ ، التي ترد مرتين في هذا النصّ ، تعود على من يحمل العرش

ومن حوله ، الذين لا شك أنّهم ليسوا من البشر ؟ .. أليس حملة العرش يتعلّقون (كعالم

آخر غير عالم البشر) بالربوبية : ﴿رَبَّنَا﴾ ؟ ..

.. هل خزنة جهنم ينتمون إلى عالم البشر ؟ ..

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾

[غافر : 49]

.. أليس خزنة جهنم يتعلّقون (كعالم آخر غير عالم البشر) بالربوبية ﴿رَبُّكُمْ﴾ ؟ ..
 .. أليس الله تعالى ربّ عالم الإنس ، وربّ عالم الجنّ ، وربّ عالم الملائكة ، وربّ كلّ العوالم التي هي دون مستوى ذاته وصفاته ؟ ... فكيف إذاً من الممكن لعاقل ، عنده ذرّة من روح ، أن يحصر دلالات كلمة : ﴿الْعَالَمِينَ﴾ بالبشر ، ويحصر دلالات العبارة : ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بعالم الخلق ؟ .. وذلك في قوله تعالى :

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

[الأعراف : 54]

أليست كلمة : ﴿الْخَلْقُ﴾ ، صيغة مصدر معرّف بأل التعريف ، تشمل كلّ مخلوقات عالم الخلق ؟ .. أليست كلمة : ﴿وَالْأَمْرُ﴾ ، صيغة مصدر معرّف بأل التعريف ، تشمل كلّ موجودات عالم الأمر ؟ .. أليست كلمة : ﴿لَهُ﴾ تُعيد عالمي الخلق والأمر - في وجودهما - له جلّ وعلا ؟ .. فكيف إذاً لا تشمل العبارة : ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ كلّ العوالم في عالمي الخلق والأمر ؟ ..

❶ - في كتاب الله تعالى ، إضافة الأعيان المنفصلة عن الذات الإلهية (من عالمي الخلق والأمر) إلى الله تعالى ، لا تعني - هذه الإضافة - أنّ هذه الأعيان جزءٌ من الذات الإلهية علينا أن نعلم أنّ المضاف إلى الله تعالى نوعان :

✽ - صفات لا تقوم بأنفسها ، وليس لها كيان مستقل بذاتها ، كالكلام ، والسمع ، والبصر ، والعلم ، فهذه الصفات إذا أضيفت لله سبحانه وتعالى ، تكون إضافة صفة لموصوفٍ بها ، فعلم الله تعالى وحياته وقدرته و هي صفات غير مخلوقة ، وهي قديمة قدم الله تعالى ..

✽ - أعيان منفصلة عن الذات الإلهية ، كالروح ، والرسول ، والعبد ، والبيت ، والناقة ، والأرض ، والنور ..

﴿ أَنْ طَهَّرْنَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة : 125]

﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ ﴾ [الأعراف : 73]

﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ [الأعراف : 158]

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر : 29]

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ [مريم : 30]

﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ [الأنبياء : 91]

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي

زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا

غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ

وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور : 35]

.. فهذه الأعيان خصَّها الله تعالى بأن أضافها إلى اسمه العظيم ، إضافةً تبيِّن خصوصية

إيجادها ، وخلقها ، وصنعها واختيارها ، وحبّه لها ، فهي تؤدي إلى الله تعالى ، وإلى رؤية

نور منهجه العظيم ..

.. فإضافة كلمة الروح إلى الله تعالى ، لا تعني أن الروح جزءٌ منه جلّ وعلا .. فالروح - كما رأينا - ينتمي لعالم الأمر ، وعالم الأمر يعود (في وجوده) لله تعالى ، كعودة عالم الخلق (في خلقه) لله تعالى : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ... ومن يتوهم أن إضافة الروح لله تعالى ، تعني أن الروح جزءٌ من الذات الإلهية ، فتوهمه ملوث بمقياس التمثيل ، الذي تعود العقل من صفات المخلوقات التي يقع عليها الحس .. فجميع الأشياء المخلوقة التي يقع عليها الحس ، مكوّنة من أجزاء ، ويحيط بها المكان والزمان .. وهو يريد فرض تصوّراته الملوّنة بصفات المخلوقات على الخالق سبحانه وتعالى ..

.. فكما أن إضافة الكرسي لله تعالى تبين لنا أن حامل عالم الخلق يعود في خلقه لله تعالى : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة : 255] ، فإن إضافة العرش لله تعالى ، تبين لنا أن حامل عالم الأمر ، يعود في وجوده لله تعالى : ﴿وَحَمَلُ عَرْشِ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة : 17] ، ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود : 7] ..

☉ - عدم إدراك كون عالم الأمر (كالروح والقرآن الكريم) ، يتعلّق بالصفات الإلهية ، وليس محتوي في الذات الإلهية وصفاتها ، جعل النصارى يتبنون إلهية عيسى عليه السلام ، وجعل بعض المسلمين يحسبون نصّ كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) الموجود بين أيدينا ، صفة من صفات الله تعالى ..

.. الروح في كتاب الله تعالى يعني : الصلة والمدد والقربى من الله تعالى ، وقد بيّنت ذلك بالتفصيل في النظرية الثانية (القدر) ، فلا علاقة للروح بسرّ الحياة في الجسم ، إطلاقاً ، والاعتقاد بذلك مبنيٌّ على ثقافة وضعيّة لا أساس لها في كتاب الله تعالى .. وإضافة الروح لله تعالى ، لا تعني أن الروح من ذات الله تعالى وصفاته .. أبداً ..
.. مثلاً ... في قوله تعالى :

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة : 22]

نرى أن العبارة القرآنية ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ تعني وأيدهم بمددٍ منه جلّ وعلا ، وقربهم إليه .. فبعد الإيمان حصلوا على هذا المدد ، فلا يمكن لعاقل أن يتصور بأن معنى الروح هنا هو سرّ الحياة التي تدخل الجسم فتجعله حيّاً ..
.. مثلاً : في قوله تعالى :

﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل : 2]

نرى أن العبارة القرآنية ﴿بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ تعني المدد الإلهي الذي تحمله الملائكة لبعض العباد ﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ كي ينذروا ويدعوا إلى وحدانية الله تعالى ..
.. مثلاً : الرُّوحُ .. هو صيغة مصدر للجذر (ر ، و ، ح) ، وصيغة المصدر شاملة كما نعلم ، وهذا المعنى للمصدر يتجلى أمام أعيننا في قوله تعالى :

﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنَ رُّوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنَ رُّوحِ اللَّهِ إِلَّا الْكُفْرُونَ﴾ [يوسف : 87]

.. العبارة ﴿رُّوحِ اللَّهِ﴾ تعني صلة الله تعالى ومدده والقربى منه .. ولا يمكن لعاقل أن يتخيّل بأن معنى الرُّوح هو سرّ الحياة في الجسم .. وضمن هذا الإطار من المعنى نفهم دلالات كلمة ﴿فَرُوحٍ﴾ في الصورة القرآنية التالية :

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ [الواقعة : 88]

[89]

.. وجبريل عليه السلام ، هو الصلة الأمانة بين الله تعالى وعباده ، وبالتالي يُوصف بالروح الأمين ..

﴿ تَزَلَّ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء : 193]

[194]

.. وكلُّ مولود يولد على الفطرة النقيّة الطاهرة .. هذه الفطرة ، هي الروح الذي ينفخه الله تعالى في هذا المولود ، بعد تسويته إنساناً كاملاً ..

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ﴿٩٧﴾ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٩٨﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٩٩﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ ﴿١٠٠﴾ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : 7 - 9]

.. ونفخ الروح في آدم عليه السلام كان بعد تسويته إنساناً كاملاً ، ولا يعني نفخ الروح فيه إعطائه سرّ الحياة في جسمه ، كما يتصوّر الكثيرون ..

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ﴿٢٩﴾ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي ﴿٣٠﴾ فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر : 29]

.. العبارة القرآنية ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ﴾ ، تعني تمام واكتمال خلقه كإنسان ، ودخول نفسه في جسمه .. والعبارة القرآنية ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي ﴾ تعني وأعطيته مدداً منّي وصلة ، وقربته إلي ..

.. الروح هو الصلة مع الله تعالى ، والقربى منه ، والمدد الذي يحصل عليه المؤمنون نتيجة صدقهم وإخلاصهم لله تعالى .. وبالتالي فالكافر يفقد هذا الروح حتى الذي نُفخ فيه عند ولادته ، نتيجة ابتعاده عن صراط الله تعالى ..

.. هذا المعنى للروح يجهله الجاهلون ، فيحسبون أنه سرّ الحياة والوجود ، ويجهلون أنّ إضافته لله تعالى هي من نوع إضافة الأعيان المنفصلة عن الذات الإلهية ، ويتعامون عن كون الروح المضاف لله تعالى قد خضع للأفعال ، وأنّ هذا ينفي كونه منتمياً لمرتبة الذات الإلهية وصفاتها :

﴿ فَأَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم :

17] ..

هل من الممكن لعاقل أن يتخيّل [في حال فرض أنّ الروح يعني سرّ الحياة في الذات] أنّ الله (تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً) قد أرسل سرّ حياته لمريم عليها السلام ، وبقي دون هذا السر ؟!!!!!! .. حتى دون إدراك معنى الروح ودون إدراك التمييز بين إضافة الصفات وبين إضافة الأعيان المنفصلة ، حتى دون ذلك ، كيف لعاقل أن يتخيّل بأنّ الله تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً يُرسل سرّ حياته وسرّ وجوده ، وأنّ هذا السرّ يتمثّل في عالمتنا المادّي المخلوق بشراً سويّاً ؟!!!!!! .. كيف ؟!!!!!! ..

.. ألم يقل تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : 11]

أليست كلمة ﴿ كَمِثْلِهِ ﴾ تعني مثل مثله ؟ .. أليس البشر شيئاً ؟ .. كيف إذاً سيتمثّل سرّ ذات الله تعالى وحياته بشراً سويّاً كما يتوهّم الضالّون ؟!!! .. وهل ذات الله تعالى وصفاته تخضع لأفعاله كفعل الإرسال ؟!!!!!! ..

.. عندما يخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم عن أمرٍ بأنّه منه جلّ وعلا ، لا يعني ذلك أنّ هذا الأمر هو جزء من ماهية الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ، وذلك قياساً على بعض تصوّراتنا المادية .. إنّما يعني ذلك أنّ هذا الأمر يعود في خصوصيّته وحرية التصرّف به إلى الله تعالى ..

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ إِنَّ مَا يُقْفُونَ إِلَّا بِالْحَبْلِ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مَنْ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِغَضَبٍ

مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران : 112]

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الحشر : 8]

.. إضافة الروح (الذي ينفخه الله تعالى في البشر) إلى الله تعالى ، تبين لنا أمرين في

الوقت ذاته :

✽ - الروح الذي ينتمي لعالم الأمر ، لا يعني أنه صفة من صفات الله تعالى ، ولا يعني أنه بمستوى الذات الإلهية وصفاتها ، ولا يعني أنه محتوى في الذات الإلهية وصفاتها .. الروح - كما بينا - يتعلّق بصفات الله تعالى ، وينتمي لعالم الأمر ، كعالم أدنى من الذات الإلهية وصفاتها ..

✽ - إضافة الروح إلى الله تعالى ، هي إضافة تشريف ، كون الروح يتعلّق بصفات الله تعالى ..

.. لا شكّ أنّ القرآن الكريم روحٌ من أمر الله تعالى ، ينتمي لعالم الأمر : ﴿وَكَذَلِكَ

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا آتَيْنَاكَ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى :

52] .. من هنا قلنا ، ونقول : القرآن الكريم يتعلّق بصفات الله تعالى ، وليس صفةً من صفات الله تعالى ، فنحن - كبشر - لا نستطيع أن ندرك أيّاً من صفات الله تعالى ، لكننا ندرك - على قدر علمنا - جانباً من دلالات كتاب الله تعالى .. فكلام الله تعالى (المعنى الكائن في ذاته جلّ وعلا) ، والذي لا سبيل لمخلوق أن يحيط بأيّ جانب منه ، كونه من صفات الله تعالى ، صاغه الله تعالى بنصّ (القرآن الكريم) ينتمي لعالم الأمر ، ووضعه جلّ وعلا بين أيدينا كحروف مرسومة في عالم الخلق ، وننطق به عبر ذبذبات صوتية في عالم الخلق .. لذلك .. من السفه والجهل القول بأنّ صورة أمر الله تعالى المحمولة بعالم

الأمر كتعلق (وليس احتواء) بصفات الله تعالى ، وصورة أمر الله تعالى (كحروف مرسومة بين أيدينا ، وكذبذبات صوتية منطوقة) المحمولة في عالم الخلق ، هما عين صفات الله تعالى عالم الأمر ، هو الحامل لأمر الله تعالى تعلقاً بصفاته جلّ وعلا ، وعالم الخلق هو الحامل لآثار صفات الله تعالى .. وعدم إدراك هذه المراتب ، جهلٌ يذهب بصاحبه إلى التيه ..

.. وما ينطبق على الروح كإضافة لله تعالى ، ينطبق على النور .. فالنور اسم صفة لكتاب الله تعالى :

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف : 157]

﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: 8]

ما نراه أن ﴿النُّور﴾ كصفة لكتاب الله تعالى خضع لفعل الإنزال ، وهذا وحده يكفي للقول بأن النور ليس صفة لله تعالى ، بمعنى لا ينتمي لمرتبة الذات الإلهية وصفاتها .. ومما يؤكد ذلك هو قوله تعالى :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۗ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام : 1]

.. فما نراه أن الله تعالى عطف العبارة : ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ على العبارة : ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ .. فالنور جعله الله تعالى ، وهذا ينفي نفيًا قاطعاً انتماءه لمرتبة الذات الإلهية وصفاتها ..

.. ومما يؤكد أن إضافة النور إلى الله تعالى ﴿نُورِهِ﴾ ، هي من صنف إضافة الأعيان المنفصلة عن الذات الإلهية ، هو تمثيله لنا بأشياء حسية :

﴿ * اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَضَرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور : 35]

.. الله تعالى يصف ذاته بالعبارة : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : 11] ،

معنى لا يمكن تمثيل ذات الله تعالى وصفاته بأي شيء من عالمنا المخلوق .. وبالتالي فتمثيل

نور الله تعالى بأشياء حسية : ﴿ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ يعني أن النور لا ينتمي لمرتبة الذات الإلهية وصفاتها ..

.. فكلمة ﴿ النور ﴾ لم ترد - في كتاب الله تعالى - صفة لله تعالى ، ولا مرة ،

كورود الأسماء : الرحمن ، الرحيم ، السميع ، البصير .. ، والعبارة : ﴿ * اللَّهُ نُورٌ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ لا تعني أن (النور) اسم صفة لله تعالى .. أبداً .. فورود كلمة

﴿ نُورٌ ﴾ كخبر يُضاف للمضاف إليه ﴿ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ لا يعني - ذلك - أن

النور صفة لله تعالى .. أبداً .. فهل من الممكن لعاقل أن يقول بأن (المخزي) صفة لله

تعالى ، محتجاً على قوله هذا بأن كلمة : ﴿ مُخْزِي ﴾ هي خبر لكلمة : ﴿ اللَّهُ ﴾ : ﴿ وَأَنَّ

اللَّهُ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴾ [النور : 35] ؟!!!!!! .. أو أن يقول بأن (الموهن) صفة لله

تعالى ، محتجاً على قوله هذا بأن كلمة : ﴿ مُوهِنٌ ﴾ هي خبر لكلمة : ﴿ اللَّهُ ﴾ :

﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ الْكَافِرِينَ ﴾ [الأنفال : 15] ؟!!!!!! ..

☉ - مفهوم الربوبية - بإطاره العام - يعني : المتابعة والإشراف والرعاية والمسؤولية .. ولكن .. هذا لا يعني أن هذا المفهوم - حينما يتعلّق بالله تعالى - لا يخرج عن حيثيات عالم الخلق .. أبداً .. ربوبية الله تعالى تنعكس في عالمي الأمر والخلق على حدّ سواء .. فمفهوم الربوبية كمتابعة وقيومية وإشراف وتدير لشؤون عالم الخلق ((السماوات والأرض)) ، لا ينفكّ عن تدبير أمور عالم الخلق ، من خلال الاستواء على العرش ورود عبارة : ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ كحال ، يتعلّق مضمون فعل تدبير الأمر المحمول بها ، بالاستواء على العرش ، وبعد خلق السماوات والأرض :

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ..﴾ [يونس : 3]

.. هذا الورد .. يبيّن لنا أنّه لا يمكن فكّ ربوبية الله تعالى للسماوات والأرض ((عالم الخلق)) : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ، عن تديره جلّ وعلا لأمرهما ، كحالٍ للاستواء على العرش : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ .. فهذا التدبير هو ربوبية ، كونه متابعة وإشراف ورعاية وقيومية من هنا نرى أنّ ربوبية الله تعالى ، عندما تتعلّق بالسماوات والأرض :

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء : 23 - 28]

.. لا تعني حصر الربوبية - بإطارها العام - في عالم الخلق ... أبداً ... فإضافة إلى كون النصّ الكريم لا يقول بهذا الحصر ، فإنّ ربوبية الله تعالى لعالم الخلق ((السماوات

والأرض)) ، لا تنفك عن تدبير أمور عالم الخلق ، من خلال الاستواء على العرش ..
كما رأينا ..

.. كتاب الله تعالى .. أليس من عالم الأمر ؟ :

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ

وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى : 52]

.. أليس هذا الكتاب (القرآن الكريم) ، من رب العالمين ؟ :

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ

وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس : 37]

.. أليس القرآن الكريم كوحى ، هو من رب الموحى إليه ؟ :

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾

[الأنعام : 106]

.. الله تعالى قيوم على عالم الأمر ، كما أنه قيوم على عالم الخلق ، ولا يمكن لمؤمن عاقل أن يتصور بأن الله تعالى ليس حافظاً وليس مسؤولاً وليس متابِعاً وليس قيوماً على كتابه (القرآن الكريم) ، وعلى الروح ..

.. أليس القرآن الكريم نُزِّلَ وأُنزِلَ وتكفَّلَ الله تعالى بحفظه ؟ ..

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر : 9]

.. أليست كلمة : ﴿نَزَّلْنَا﴾ ، تبيِّن فعل التنزيل ، الذي فاعله الله تعالى ، والمفعول به

هو : ﴿الذِّكْرُ﴾ ؟ .. ألا يعني ذلك أن أمر التنزيل كان بإشراف الله تعالى ورعايته

وقيوميته ؟ .. أليس ذلك من متعلقات الربوبية ؟ .. أليست كلمة : ﴿لَحَافِظُونَ﴾ ، تبيِّن

لنا حفظ الله تعالى لكتابه الكريم ؟ .. أليس الحفظ أمراً مستمراً ؟ .. أليس الحفظ من متعلقات الربوبية ؟ ..

.. وكنا قد وقفنا عند قوله تعالى : ﴿ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [القدر : 4] ، ورأينا أن : ﴿ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ ﴾ ، يخضعان لربوبية الله تعالى : ﴿ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ ؟ .. ف : ﴿ الرُّوحُ ﴾ لا يمكن استنواؤه من مفهوم الربوبية : ﴿ رَبِّهِمْ ﴾ .. والروح - كما رأينا - ينتمي لعالم الأمر .. هذا إضافة إلى أن : ﴿ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ ﴾ تعلقاً بفعل التثريب : ﴿ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ ، وما يتعلق بأفعال الله تعالى ، لا يمكن أن يكون متمياً لذات الله تعالى ولصفاته .. وكل ما هو دون ذات الله تعالى وصفاته ، لا يخرج عن سلطان ربوبيته جلّ وعلا ..

.. من هنا نرى أن مفهوم الربوبية المتعلق بالله تعالى ، يشمل عالمي الخلق والأمر معاً ، وليس محصوراً بعالم الخلق : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : 54] .. فسواء خلق عالم ﴿ الْخَلْقِ ﴾ ، أم إيجاد عالم ﴿ الْأَمْرِ ﴾ ، كلاهما يعود إلى الله تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ﴾ : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ ، وذلك كربّ لهما ﴿ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ من كل ما سبق ، نرى أننا - في إدراك مفهوم مسألة العرش من كتاب الله تعالى - أمام المراحل التالية :

1 - العرش قبل خلق السماوات والأرض كان على الماء .. لأن السماوات والأرض لم تكونا مخلوقتين ، فمتعلق تدبير الأمر في عالم الخلق ، كان الماء ..

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [هود : 7]

2 - خلق السماوات والأرض في ستة أيام .. بمعنى : دوران المادة الأولى حول نفسها ست دورات مكانية حتى استقرت هيئة السماوات والأرض ..

3 - بعد اكتمال خلق السماوات والأرض ، وأخذ الكون شكله الحالي ، فإن تدبير الأمر لهذه الهيئة الجديدة للكون ، مرحلة لاحقة لهذا الخلق .. فالذي تم واكتمل هو : أمر الله تعالى على بيان ناموس الحامل لعالم الأمر (العرش) ، حال كونه جلّ وعلا يدبّر أمور عالم الخلق (السماوات والأرض) ، عبر هذا الناموس ..

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : 54]

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [يونس : 3]

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الرعد : 2]

﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾

﴿ الرَّحْمَنُ فَسَقَلَ بِهِ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان : 59]

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [السجدة : 4]

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾

[الحديد : 4]

.. فكلمة ﴿ثُمَّ﴾ كما نعلم تفيد الترتيب .. ونراها ترد (6) مرّات ، تفصل فيها بين خلق السماوات والأرض ((حيث خلقت في ستة أيام)) ، وبين الاستواء على العرش .. ومن الطبيعي أن خلق عالم المادّة سابق على اكتمال تدبير الأمر الإلهي في إدارة هذا العالم .. وقول موسى عليه السلام ، هو محاكاة لهذا الناموس ..

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه : 50]

.. إذا .. الاستواء على العرش ، ليس حركة مكانية زمانية حدثت مع الذات الإلهية ، تعالى الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً .. إنّما هو اكتمال أمر الله تعالى على بيان الناموس الحامل لعالم الأمر (العرش) ، حال كونه جلّ وعلا يدبّر أمور عالم الخلق (السماوات والأرض) ، عبر هذا الناموس ..

.. فقبل خلق السماوات والأرض كان عرش الله تعالى - كما رأينا - على الماء ، كون السماوات والأرض لم تكن مخلوقة .. ونرى أن وصف العرش آنذاك هو بتعريف الإضافة : ﴿عَرْشُهُ﴾ .. ليكون العرش بعد ذلك وارداً بصيغة المعرفة بأل التعريف وفي الانقلاب الكوني يوم القيامة ، ستكون هناك ماهية أخرى لعالم الخلق ، حيث يُوصف العرش في تلك المرحلة بتعريف الإضافة : ﴿عَرْشُ رَبِّكَ﴾ :

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحَمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً

وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾

وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا ﴿١٧﴾ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴿١٨﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ

لَا تَخَفُوا مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٩﴾ [الحاقة : 13 - 18]

.. وفي عالم الآخرة .. نرى أن العرش المتعلق بذلك ، يرد معرفاً بأل التعريف ..

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ

لَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ

بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر : 73 - 75]

.. إن التيه الذي غرق فيه معظم متناولي تفسير هذه الآية الكريمة (والآيات الأخرى الحاملة لمسألة الاستواء على العرش) ، ناتج عن فرض تصوّرات مكانية زمانية على دلالات نصوص كتاب الله تعالى ، وعن عدم الوقوف على حقيقة صياغة نصوص آياته الكريمة ... والخروج من التيه ، في أيّ مسألة ، يكون بالمنهج العلمي السليم المجرّد عن الأهواء والتصوّرات المسبقة الصنع ، انطلاقاً من مقدّمات قرآنية ، للوصول إلى نتائج يحملها كتاب الله تعالى ..